ملحمة الأربعين الرائعة مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية الحديثة

■ الدكتور داود عامرى

ان مسيرة الأربعين الحسينية العظيمة تبين لنا كيف يمكن من خلال الاستلهام من المبادىء الدينية والمعنوية رؤية ملايين الناس من مختلف أنحاء العالم تجتمع في مكان واحد ويعيشون في اجواء مليئة بالمحبة والاخوة دون ان تحدث أدنى مواجهة بينهم ..

في الأيام التي تسبق الأربعين ،عادة ماتشهد عدد من البلدان والكثير من المناطق في مختلف ارجاء العالم ولاسيما إيران الإسلامية شغفًا لا يوصف لزوار كربلاء الحسين. ففي كل عام وخاصة في الأسبوع المؤدي إلى زيارة الاربعين الحسينية يشهد العالم خروج موجات ضخمة من حشود المعزين للتعبير عن إخلاصهم لقائد أحرار العالم من خلال المشاركة في مسيرة المشي وقلوبهم مليئة بالحنان الروحي لزيارة ضريحه المبارك وذلك في مسيرة تعطر كل المناطق الإسلامية برائحة الزوار. وترسم لوحة جميلة في كل الطرق لوحة تشكل عناصرها اطياف من البشرية الوافدة من مختلف انحاء العالم.

تأسيساً على ذلك ، يمكن القول إن مسيرة الأربعين هي أولا مظهرًا للحضور المتناغم والتآزري لعدد لا يحصى من الناس من مختلف الأعراق والقوميات والأديان معًا جاؤوا الى مكان مقدس ليعززوا مستواهم

ودورهم الثقافي والاجتماعي في اجواء معنوية عبر الاطلاع على الجوانب المهة للملحمة الحسينية وتأثيراتها.ومن هذه الجوانب ، نذكر بعضها بإيجاز.

١- رمز للمشاعر النقية والمودة.

لا يخفى على أي إنسان عادل يتحلى بالفكر والمنطق بأن الإمام الحسين (ع) هو رمز لحرية وعظمة الإنسان في مواجهة الظلم و الاستبداد . اذ اصبح شعار (هيهات من الذلة) منذ اليوم التالي لليوم العاشر من محرم عام واحد وستين للهجرة شعارا يفضح كل من يريد ممارسة الظلم والطغيان ويحاول ان يسدل الظلام على شمس الحرية ، ومع مرور الزمن تبدلت ثورة وحركة الإمام الحسين (عليه السلام) ألى اكبر حركة إلهام للأحرار والمنادين بالحرية في العالم ، من هنا نلاحظ انه ليس الشيعة فقط ،وانما أيضًا العديد من غير المسلمين يشاركون في مسيرة الاربعين وفي هذا المجتمع البشري العظيم ، احتراما واستجابة لنداء الحرية والكرامة الذي اطلقه الإمام الحسين (ع) واصحابه الاوفياء المخلصين. وهذا المجتمع البشري العظيم هو خير دليل، يشير على مدى المحبة التي يكنها احرار العالم للامام وانصاره وهي محبة مفعمة بالذكاء والمعرفة البشرية .

٢- مظهر يجسد وحدة الأمة الإسلامية.

قد يعتقد البعض أن مسيرة الأربعين تتعلق بمذهب خاص ، لكن المشاركة الملحمية في هذه الحركة العاطفية والتواصل الحميم بين زوار سيد الشهداء الذين يأتون مشيا على الأقدام من كل حدب .وصوب تشير الى وجود حركة إسلامية تضم جميع المذاهب الاسلامية وحتى غير الاسلامية . فتواجد زوارالاربعين وهم يحملون أعلام دول مختلفة يدل على أن المسلمين وخاصة أتباع أهل البيت (ع) يتمكنون من ان يعيشوا معا كأمة واحدة بسلام وامان والأمة الواحدة بدورها تتمكن من خلال التضامن والاتحاد ان تمارس كافة النشاطات الدينية والاجتماعية والعالمية. وفي الواقع ان هذا التضامن والاتحاد قد تجلى بوضوح في مسيرة الاربعين العظيمة،لتبرهن هذه الامة للعالم بأنها تحمل رسالة ، وأن المسلمين يتمكنون- من خلال التأكيد على القواسم المشتركة والامتناع عن التعاون مع أعداء العالم الإسلامي ، ان يرسموا افظل واسمى صورة لوحدة الأمة الإسلامية.

- ظهور الفضائل الأخلاقية والإنسانية العظيمة

تشير الإحصائيات إلى أن الملايين من عشاق أبا عبد الله الحسين (ع) يشاركون في مسيرة المشي في الأربعين. ويكفي أن نتصور للحظة لو أن هؤلاء الناس ، مثل الآخرين ، لايفكرون سوى في مصالحهم واهتماماتهم الشخصية القائمة على حب

الذات ، وانهم بعيدون عن القيم والصفات العليا مثل الايثار والتفاني والتضحية بالنفس. فهل يمكن إدارة مثل هذا العدد الكبير من الناس بسهولة والسيطرة عليهم وتلبية احتياجاتهم الأساسية؟.

من الواضح أن الامكانيات الحكومية ليست هي الحل ولايمكنها ان تستجيب لهذا الكم والعدد الهائل من الزوار ، ولولا الاجواء المعنوية لهذه الزيارة والاجواء الأخلاقية التي يتمتع بها الزوار،لحدثت آلاف المشاكل ، ولكن بفضل وبركة هذه الاجواء المعنوية والأخلاقية ، نلاحظ ان الجميع يبذل كل مالديه من اجل توفير الخدمة للاخرين حيث يشكل التعاون والتكاتف والتفاني والايثار ومساعدة الاخرين الصفة الغالبة على الجميع سواء أولئك الذين ينظمون المسيرات والمواكب ويقدمون الخدمات للزوار أو أولئك الذين يتلقون الخدمات.

لذلك ، يمكن الاستنتاج أنه في المجتمع أيضًا ، يمكننا الاستفادة وإلى أقصى حد من المكونات الروحية والمعنوية لتعزيز الالتزام الاجتماعي والالتزام الخلقي الذاتي بين ابناء المجتمع ، وان نمهد الطريق لتسامي الانسان وتوفير الحياة السعيدة له ،وان نقدم لعالمنا الراهن نموذج وقدوة مفيدة وفاعلة تنقذهم من الواقع الفوضوي الراهن.وتهديهم الى الطريق الصحيح.

-النظام والأمن الداخلي المثالي.

نظرا للظروف الخاصة للعراق ، توظف االمؤسسات والكوادر الحكومية والمدنية والقوات والعسكرية معظم طاقتها من اجل توفير الأمن للزوار المشاركين في زيارة الاربعين على طول المسيروموجهة الجماعات الإرهابية ، وما يتم القيام به بين المشاركين في المسيرة من أجل تنظيم المسيرة وتوفير النظام والأمن.فيعتبر نوع من النظام الداخلي القائم على القوانين الأخلاقية والروحية غير المكتوبة. فالمشاركون في هذه الملحمة ،من خلال ثقة بعضهم بالبعض والتزامهم ألاخلاقي يقومون بإنشاء نظام داخلي ، يحاولون من خلاله تنظيم سلوكهم وحركاتهم لمساعدة الآخرين ، ولا أحد يريد أن يحمل عبئًا على بقية الزوار ، لذا فإن هذا النظام الداخلي وهذا الأمن يعتبر بدوره نموذجا مثاليا. يؤكد على قوة وقدرة المعتقدات الروحية والمعنوية في خلق الأمن والنظام في المجتمع الإسلامي ويبرهن عقليا ومنطقيا بأنه يمكن من خلال الاستخدام الصحيح والمنطقي لهذا النظام المبني على اساس المعتقدات حل العديد من المشاكل الأمنية وان يكون رمزًا لظهور حضارة راقية وسامية تفوق مايسمى بالتعايش السلمي.

- إدارة الاستهلاك ؛

من التحديات الهامة التي تواجه موضوع تنفيذ اقتصاد المقاومة واقتصاد البلدان الإسلامية الضعف الموجود في إدارة الاستهلاك. والحقيقة هي أن عادة الاستهلاك المفرط هي إحدى المشاكل الاقتصادية للبلاد ، من هنا نلاحظ ان قائد الثورة المعظم يؤكد دائما في تصريحاته على موضوع ترشيد إدارة الاستهلاك باعتبارها إحدى طرق تنفيذ اقتصاد المقاومة. من هنا ونظرا إلى وجود عدة ملايين من الزوار في زيارة الأربعين نراهم يقومون هم بحد ذاتهم بإدارة الاستهلاك ، فإن هذا الامر يشير الى وجود رأس مال اجتماعي ذات دعامة دينية في المجتمع الإسلامي يهتم بموضوع إدارة الاستهلاك وانه يمكن استخدام هذا الرأس المال كنموذج مثالي لترشيد الاستهلاك وخلق ثقافة مستدامة بين المسلمين.

-رسم وجه جميل للسلام والعدل.

الحقيقة هي أننا إذا أردنا تحليل وجود ملايين الإيرانيين في مسيرة الأربعين والترحيب الحار والمثالي للشعب العراقي لزوار سيد الشهداء(ع) بمعايير مادية ومعايير علم الاجتماع الوضعية اجتماعية ، فسوف لن نصل الى اي نتيجة . لكن ما

جعل الأخوة تحل بين الشعب الإيراني والشعب والعراقي وزوار البلدان الأخرى بدلاً من القضايا المثيرّة للخلاف ، هو وجود مفهوم عميق من المعتقدات الدينية والحب المشترك للفضيلة الأخلاقية.

إن وجود العتبات المقدسة في العراق والرغبة الشديدة للايرانيين وبقية اتباع الدول الإسلامية الأخرى لزيارة هذه العتبات قد دفع ابناء البلدين إلى التعرف والتواصل بشكل مباشر ووثيق مع بعضهما البعض ، ونتيجة لذلك ، تأصل موضوع بناء الثقة الشعبية بينهما بسرعة كبيرة لدرجة أن الشعب العراقي يقوم بدعوة زوار أبا عبد الله إلى الحسين الى منازلهم الشخصية والزوار الإيرانيون بدورهم يستجيبون برحابة صدر وبكل سرور استضافتهم.

وتأسيسا على ذلك ،أصبحت مناسبة الأربعين عنصراً هاماً جداً في تعزيز العلاقة السلمية والعادلة بين شعوب وابناء العراق وإيران والدول أخرى ، ويرى أتباع الديانات والمذاهب الأخرى هذه الملحمة العظيمة ويتابعوها ويرون صورة جميلة للتعايش السلمي والسلام بين المسلمين. واذا تم القيام ببعض الإجراءات الهيكلية خلال السنوات القادمة ، فان هذا الامر سيؤدي بلا شك إلى تعزيز ورقي السلام المفعم بالعدالة والأمن في المنطقة.

-الإدارة المثالية.

يعتقد جميع الخبراء أن أفضل نظام إداري هو ألنظام الذي يكون قادرًا على استخدام وتنسيق القدرات العظيمة للناس جنبًا إلى جنب مع قدرات الحكومة ، للعمل والتعاون بشكل فعال من أجل تحقيق الأهداف المنشودة ومنها خفض التكاليف وزيادة الإنتاج والحد من الاضرار والسلبيات.

مما لا شك فيه ،انه اذا امعنا النظر في هذا المجال ، يمكننا أن نرى في مسيرة الأربعين كيف تقوم الجهات الحكومية المعنية إلى جانب عدد لا يحصى من الجهات الشعبية بالاسراع لتقديم الخدمة للزوار والضيوف حيث نراهم يعملون معا بشكل منسق متناغم وهذا الامر بدوره يرسم لنا نموذجا حقيقيا ورائعا للإدارة الإسلامية المثالية السامية.وطبعا ينبغي بمرور الزمان تعزيز هذا النموذج وازالة بعض أوجه القصورالموجودة فيه لتزداد عبر الزمن قيمته وفاعليته .

والنتيجة أن هذه المظاهر وعشرات المظاهر الأخرى ، التي هي بركات وجود سيد عليه السلام والحركة المعنوية لزوار الأربعين ، تبشرنا بان هناك تركيبة متمايزة وسامية ومتفوقة في طريقها الى الظهور ، وهذه العلامات والمؤشرات هي في الحقيقة رموز تبشر بتكون حضارة إسلامية جديدة ، رموز يمكن استخدامها في مسيرالتنسيق بين الدول الإسلامية وتعزيز التواصل بينها في مجال تعزيز الوحدة وسمو عناصر الحضارة الإسلامية الجديدة.